الباب الرابع

تحديد واختيار نوع الجنين

تقديم وتقسيم :

لم يعد التعرف على نوع الجنين لاستبقاء ما تهوى الأنفس رغبة عن الآخر هو الغرض الوحيد ، بعدما ظهرت الحاجة الملحة مع التقدم العلمى الحديث إلى حماية الجنين من جناية أحد الأبوين على أحد نوعيه بنقل مرض أو تشوه خلقى خطير إليه ، يعصف بحياته أو يحرمه الحياة السوية فى مستقبل أيامه.

نتناول هذا الباب عبر التقسيم التالى :

الفصل الأول : التعرف على نوع الجنين .. بين القدم والحداثة والهدي النبوي:

المبحث الأول : التعرف على نوع الجنين .. بين القدم والحداثة.

المبحث الثانى : التعرف على نوع الجنين .. فى الهدى النبوى.

الفصل الثانى : اختيار نوع الجنين .. والمشروعية في الفقه الإسلامي :

المبحث الأول : أسباب وطرق اختيار الجنين.

المبحث الثانى : مشروعية اختيار الجنين فى الفقه الإسلامى .

الفصل الأول
التعرف على نوع الجنين .. واختياره
بين
القدم والحداثة .. والهدي النبوي

إذا كان الحمل مصدر سعادة الزوجين ؛ لأن الولد غالباً ما يصون الأسرة من انحلال عقدتها ويوثق عرى مودتها إلا أن هذه السعادة فى بعض الأحيان مشوبة بالقلق كلما دنت لحظة تشقق الأرحام عن تلك المواليد ، تبعاً لنظرة المجتمع إلى البنات دون البنين ، فكم من امرأة أنجبت بنتاً طوت عليها الجناح وانزوت ، أو ودعت بيت الزوجية إلى بيت أهلها تشيعها نظرات أهل الزوج بالعجز عن إنجاب الذكور ، أو هجرها الزوج إلى من تلبى رغبته .. وأمام هذه الجاهلية الظالمة ، بدد الطب ، قلق النفوس الحائرة باكتشافه أن إنجاب الجنسين إنما يرجع إلى الذكر دون الأنثى .. ، ولله در المرأة المسلمة قبل ذلك الكشف بزمان حينما عبرت عن تلك الحقيقة فى شعر يحكي مأساتها مع زوجها – الأمير العربى – الفار من بيتها وبناتها لأنها لم تنجب البنين :

ما لأبى حمزة لا يأتينـــا　　يظل فى البيت الذى يلينا

غضبان ألا نلد البنينـــا　　والله ما ذاك فى أيدينـــا

فنحن كالأرض لزارعينـــا　　ننبت ما قد غرسوه فينـــا

فلما سمع ذلك عطف على داره ولزم زوجه وبناته.

ولقد سجل التاريخ قصه تعجل الإنسان فى ارتياد المجهول للكشف عن نوع الجنين المستكن في غياهب الأرحام ، وهذا طرف من ذلك التاريخ الموغل فى القدم ، القريب فى الحداثة : وهو ما نتناوله من خلال مبحثين :

المبحث الأول : التعرف على الجنين بين القدم والحداثة.

المبحث الثانى : التعرف على نوع الجنين في الهدي النبوي.

المبحث الأول
التعرف على الجنين
بين
القدم .. والحداثة

الإنجاب حلم البشرية والكشف عن نوع الجنين قبل ولادته كان همها تبعاً لنظرة التمييز بين الذكر والأنثى ، تعددت طرقه بين حضارات شتى تخطىء وتصيب ، تثير جدلاً لم ينته حتى فى عصر التكنولوجيا والتنوير.

فى العصر القديم والوسيط :

ففى مصر الفرعونية : تكشف برديات عن براعة المصريين فى محاولات الكشف عن نوع الجنين إحداهما ترجع إلى ١٥٥٠ ق . م ، الثانية إلى ١٢٥٠ ق . م ، على النحو الوارد فى النص التالى:

[ضع قمحاً وشعيراً في أكياس قماش واطلب من المرأة أن تبول عليها بعدها تخلط هذه الحبوب بالبلح والرمل ، فإذا نبت القمح والشعير معاً فإن المرأة ستلد ، فإذا نبت القمح ستلد ذكراً ، اما إذا نبت الشعير فإنها ستلد أنثى ، فإذا لم ينبت أحدهما فهى سوف لا تلد].

ولقد استعار أبو قراط هذه الوصفة من الطب الفرعونى وانتقلت إلى الطب الشعبى الأوروبى ، ولا زالت تمارس حتى الآن فى بعض القرى الأوروبية ([1])، كما استخدم بعض الباحثين هذه الوسيلة عام ١٩٣٣ م حيث حققت نجاحاً بنسبة ٨٠% فى تشخيص الحمل وتوقع نوع الجنين.([2])

فى اليونان : سلك اليونانيون طريقاً فى التعرف على نوع الجنين ظهر فيه تأثير الظواهر الطبيعية ، حيث اعتمد أرسطو اتجاه الريح.([3]) ، واعتمد " أبو قراط " الحرارة والبرودة([4]) ، كما كان الناس يتكهنون فى عصره نوع الجنين من لون وجه المرأة ، فيكون ذكراً إذا كان اللون ورديا ً ، وأنثى إن كان وجهها يعتريه الشحوب والذبول.([5])

وفى التاريخ العربى الهندى : كان مزاج المرأة دليلاً على نوع الجنين. فإن كانت مبتهجة وسعيدة أثناء الحمل فهو دليل حمل الذكر.([6])

فى العصر الحديث :

أجرى العديد من الأبحاث لمعرفة نوع الجنين منها :

([1]) د . مصطفى محمود سليمان – تاريخ العلوم والتكنولوجيا فى العصور القديمة والوسطى – مهرجان القراءة للجميع – مكتبة الاسرة ص ٢٢٠ -٢٠٠٦ م.

([2]) د . محمد على البار – طفل الأنبوب والتلقيح الصناعي والرحم الظئر والأجنة المجمدة ص ٢٩.

([3]) تاريخ العلوم والتكنولوجيا فى العصور القديمة والوسطى – مصطفى محمود سليمان – مرجع سابق.

([4]) المرجع السابق.

([5]) عز الدين الدنشارى – مرجع سابق ص ٤٤.

([6]) المرجع السابق.

- زمن الجماع : لوحظ أن نسبة الإناث إلى الذكور بين اليهود المتدينين فى أسرائيل مرتفع إذا ما قورنت بنسبة المواليد الإناث إلى المواليد الذكور بين العرب هناك ، ويرجع هذا إلى أن اليهود لايجامعون نساءهم إلا بعد أسبوع من انتهاء فترة الحيض ، ويسمون هذه المدة : فترة الحيض .([1]) ،
- عدد مرات المباشرة الجنسية والوقت الذى تتم فيه إحتمال إنجاب الذكور ، فقد تبين أنه كلما قل عدد المباشرة الجنسية كلما كان هناك إحتمال كبير لإنجاب الذكور ويستدل على ذلك بأنه إبان الحرب العالمية ارتفعت نسبة الذكور فى انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية حيث كان الأزواج يبتعدون عن زوجاتهم لفترات طويلة .([2])
- كما ظهر تأثير السن على نوع الجنين فى تلك الدراسة الحديثة التى نشرتها مجلة " NATURE" – أى الطبيعة – الإنجليزية ، أجريت على نحو ٣٠١ من العائلات البريطانية ، أشارت إلى أن الرجل الذى يتزوج بامرأة تصغره فى السن بنسبة تتراوح من ٤ – ١٧ عاما فإن احتمال إنجابها للمولود الذكر يبلغ ضعف احتمال إنجابها أنثى ، أما فى حالة زواج المرأة من رجل يصغرها فى السن بنسبة تتراوح من عام إلى تسعة أعوام فإن احتمال إنجابها للذكر أقل ، ولم تجد الدراسة تفسيراً بيولوجياً مقنعاً لهذه النتيجة التى تحتاج إلى دراسة أخرى للتأكد من صدقها.([3])
- كما ذهب بعض العلماء إلى أنه يمكن التعرف على جنس الجنين من بعض الأمراض ، فهناك بعض الحالات يغلب على أصحابها إنجاب البنات ، مثل المصابين بانفصام الشخصية (شيزوفرينيا) ، والمصابين بالأورام الليفية ، ومدمنى المخدرات والكحوليات ، وهؤلاء قد يصابوا بالعقم أيضاً ، وأخف التأثيرات أن ينجبوا إناثاً([4]) ، كما أشارت إحدى الدراسات العلمية إلى أن مريضة الروماتويد تنجب أناثاً أكثر من الذكور. ([5])
- تحليل السائل المئوى : حيث تم بهذه الطريقة فحص الخلايا الموجودة في السائل المنوى " AMNIOTIC FLUID " ودراسة صبغتها الجنسية ، فإذا وجدت xx كان جنين أنثى وإذا وجدت xy كان الجنين ذكراً([6]) ، ويقوم الطبيب ببذل غشاء البطن ثم الرحم بإبرة محقن معينة ، دون أن يمس المشيمة أو الجنين لاستخراج كمية من السائل المنوى ويرسل إلى المعمل المتخص ليستخلص منه الخلايا الجنينية لزراعتها وصبغها لمعرفة هذه الخلايا الصبغية .
- المعايرات الهرمونية الكيميائية : هناك عدة اختبارات كيميائية منها على سبيل المثال : اختبار تحديد الكمية الموجودة من هرمون الأندروجين (الذكرى) وهرمون الأوستروجين (الأنثوى) واختبار مواد كيميائية معينة في لعاب الأم ، مرتبطة بوجود الجنين الذكر. ([7])

---

(١) د . كارم السيد غنيم – الاستنساخ والإنجاب ص ٢٩٣ – ٢٨٤.
(٢) عز الدين الدنشاري – مرجع سابق ص ٤٥ – ٤٦
(٣) د . فاتن أحمد مرسى – اختيار الجنين بين العلم والدين – مجلة الوعى الإسلامى ص ٣٠ – العدد ٤٤٦ شوال ١٤٢٣هـ
(٤) د . كارم السيد غنيم – مرجع سابق ص ٢٧٩
(٥) جريدة الأخبار – صفحة المحليات – الجمعة ٨ يوليو ٢٠٠٥ م .
(٦) مجلة التبيان – الصادرة عن الجمعية الشرعية المصرية – العدد ٤١ ص ٤٣ ذو الحجة ١٤٢٨هـ - ديسمبر ٢٠٠٧ م.
(٧) د . كارم السيد غينم – مرجع سابق ص ٢٩٠ بتصرف – الوراثة البشرية الحاضر والمستقبل.

المبحث الثاني
التعرف على نوع الجنين فى الهدى النبوى

لقد كان لرسول الإسلام (ﷺ) هدى فى التعرف على نوع الجنين فى زمن خلى من المعامل وأدوات الكشف وطرقه العلمية فى عمق الصحراء المترامية المفعمة بحياة البداوة ، لكن النور الإلهى سطع فى أجوائها ليغيرها بالرحمة والعلم ودلائل النبوة ليكون إعجازاً لعصره ولكل عصر بعده ، حتى إذا وضع العلم فى عصرنا فنونه وجد أن الإسلام سبقه ليقف مشدوها أمام إعجازه مبهوراً بخرقه لحجب الغيب عن علم لم يكن له وجود فى زمنه ، وبالتالى لم يُعَلِّمْه بشر فلا نملك إلا التسليم بإعجازه عن إدراك وصول هذا العلم إليه إلا باتصاله بالسماء التى اهدته مفتاح العلم فى أول آية طرق بها الوحى سمعه واستقرت فى وجدانه وقلبه ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ...﴾ (العلق : ١)

وهذه أقوال النبوة ناطقة بالغيب :

يقول النبى (ﷺ):

١) (إذا غشى الرجل المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له ، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها).[١]

٢) (ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا ماء الرجل ماء المراة . ذكَر بإذن الله ، وإذا علا منى المرأة الرجل أنث بإذن الله). [٢]

٣) (جاء يهودى إلى رسول الله (ﷺ) قائلاً : جئت أسالك عن الولد ، فقال (ﷺ) : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإن علا ماء الرجل ماء المرأة أذكر بإذن الله وإذا علا ماء المرأة الرجل أنث بإذن الله ، فقال اليهودى لقد صدقت وإنك لنبى) .[٣]

ويتلاحظ أن هذه الأحاديث تناولت أسباب تحديد نوع الجنين بعدة الفاظ :

(أ) سبق أحد المائين الأخر.

(ب)علو أحد المائين الأخر.

ولقد فسرت الأحاديث بعضها بعضاً ، فالمراد بالعلو فى الحديث الأول والثانى دل عليه الحديث الثالث بأنه السبق.

ويمكننا تفسير ما ورد بهذه الأحاديث فى منظور العلم الحديث بأن سبق الخلايا الذكرية "y" إلى البويضة كان الجنين ذكراً ، والعكس إذا سبقت الخلايا الأنثوية "x" إلى البويضة كان الجنين أنثى فالعلو فى الحديث هو السبق إلى الوصول والالتحام بالبويضة تخصيباً.

---

[١] أخرجه البخارى : الحديث رقم ٣٠٨٢.
[٢] أخرجه مسلم فى صحيحه – شرح النووى على مسلم ٣ / ٢٢٦.
[٣] فتح البارى ١١ ، ١١٠.

كشف شُبْهة التعارض بَيْنَ عِلِم اللهِ عَزَّ وجلْ وعلم العباد لما فى الأرحام :

قد يتبادر إلى ذهن البعض التعارض بين علم الله عزو جل وعلم العباد لنوع الجنين فى الأرحام وهو ما يقتضى عرض الشبهة وكشفها عن طريق طرح إجابات العلماء :

يقول النبى (ﷺ) : (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله : لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولايعلم ما في غدٍ إلا الله ولا يعلم متى يأتى المطر أحدٌ إلا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت إلا الله ولايعلم متى تقوم الساعة إلا الله .([1])

- ولقد تساءل البعض : إذا كان العلماء قد وصلوا بهذه الاكتشافات إلى علم ما فى الأرحام ألا يوجد تعارض ؟ .

- وللإجابة على ذلك نستعرض بعض أقوال العلماء ، ثم نعرض لرأينا المتواضع في المسألة:

- يقول الإمام القرطبى ([*]) – رحمه الله – فى تفسيره (إنه يدخل فى قوله تعالى (وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ) (الرعد جزء من الآية ٨) قدر خروج الولد من بطن أمه وقدر مكثه فى بطنها إلى خروجه)([2])

- ويقول صاحب الظلال – سيد قطب – رحمه الله :

(أن الله عز وجل ينزل الغيث وفق حكمته بالقدر الذى يريده ، وقد يعرف الناس بالتجارب والمقاييس قرب نزوله ، ولكنهم لا يقدرون على خلق الأسباب الكونية التى تكونه والتى تنظمه فاختصاص الله فى الغيب هو اختصاص بعلم كالاختصاص فى أمر الساعة فهو سبحانه الذى يعلم وحده اليقين ماذا فى الأرحام فى كل لحظة وفى كل طور من فيض وغيض ومن حملٍ حي حين لا يكون للحمل حجم ولا جرم ونوع هذا الحمل ذكر أو أنثى).([3])

قوله تعالى: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ﴾(لقمان جزء من الآية ٣٤) لا يدل على أن العلم بالجنس

---

(1) رواه البخارى – رقم الحديث ٧٣٧٩.

(*) هو : الإمام ابو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر الأنصارى القرطبي تفقه على مذهب مالك واعتنى بتفسير القرآن الكريم ، توفى – رحمه الله – بمصر سنة ٦٧١ من الهجرة ، وله مصنفات منها : الجامع لأحكام القرآن ، والتذكار في فضل الأذكار ، التذكرة، الديباج المذهب لابن فرحون ص ٣١٧ – ٣١٨.

(2) القرطبى – الجامع لأحكام القرآن ٩ / ٢٨٩.

(3) سيد قطب – فى ظلال القرآن ص ٥ ٢٧٩٩ - دار الشروق - بيروت – القاهرة ط٧.

هو كل العلم أو هو مقتصر على الله سبحانه وتعالى ولا يعلمه أحد من الخلق([1]) ، والدليل على ذلك قوله (ﷺ) : (إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ، ثم قال يا رب : أذكراً أم أنثى).([2])

الباحث : عندنا أن الآية صريحة فى أن هذه الخمس من الغيب مفاتيحها عند الله ، إذا فالله هو الذى يفتح ابتداءً ليعلم العبد أن كل ما خفى عليه غيب حتى يعلمه فينتقل من الغيب إلى الشهادة ويفسره قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾فاطر : جزء من الآية ٢ . وإن علم الله بمقتضى الخلق ابتداء ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(الملك :١٤) علم إحاطة وشمول لا تعوقه حجب ولا تعجزه وسيلة ، يعلم مثقال الذر وما دق وعظم ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ سبأ: جزء من الآية ٣. ذلك أن الإدراك بالحواس مقيد بالكيف والزمان والمكان ، الذي لا يرد على كمال قدرة الله المطلقة بل يخضع لها عجز المخلوق مهما انكشف له من مكنون الغيب - حسب مشيئة الله – ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء جزء من الآية ٨٥.

فإذا ما انتهى العبد إلى معرفة نوع الجنين داخل الرحم فإن هذا العلم سبق إليه علم الله فكان علماً عند الله غيباً عند العباد حتى ينكشف لهم فينتقل من الغيب إلى الشهادة ..

فالعلم بجنس الجنين ما تفرد به من بين المخلوقين عالم .. ، إلا سبقه علم الملك المكلف بنفخ الروح وكتابة الأجل والرزق والشقاء والسعادة فقد سبق فى علم الله ما كان وما هو كائن وما سيكون – وقد اطلع الملك بذلك ألم يكن موجوداً قبل اكتشافه غيباً ثم صار شهادة ؟ !!!

([1]) زياد أحمد سلامة – أطفال الأنابيب بين العلم والشريعة ص ١٩ – ٢٠ ط (٣) ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م نقلاً عن / عوض منصور: دفع شبهات وأوهام حول آية :(يعلم ما فى الارحام) – جريدة المسلمون العدد ١ ص ١٦ بتاريخ ١٢ شوال سنة ١٤٠٥ م.

([2]) رواه مسلم جزء من الحديث رقم ٢٦٤٥.

الفصل الثاني

إختيار نوع الجنين .. والمشروعية في الفقه الإسلامي

بعدما انتهينا إلى ما استودعه الله الأرحام من مكنون غيبه ابتداء ، ليكشف للإنسان ذلك الغيب انتهاء ، فإن التساؤل يثور حول : هل إلى اختيار نوع الجنين بعد هذا العلم من سبيل ؟

نطالع الإجابة من خلال التقسيم التالى :

المبحث الأول : أسباب وطرق اختيار نوع الجنين.

المبحث الثانى : مشروعية اختيار نوع الجنين ... في الفقه الإسلامى.

ثم نطرح رؤيتنا فى المسألة .

المبحث الأول

أسباب وطرق اختيار نوع الجنين

تعددت أسباب وطرق اختيار نوع الجنين ، فى مسيرة الإنسانية ، بما يكشف عن الشغف إلى معرفة نوعه واختياره قبل النزول إلى الدنيا .

١) أسباب اختيار نوع اجنين :-

تراوحت هذه الأسباب بين الاجتماعى منها والاقتصادى والطبى .

أ) الاسباب الاجتماعية :

كانت قوة الذكور فى السعى فى مناكب الأرض لجلب أسباب الحياة ، والدفاع عن الأهل والعشيرة والوطن ، محط أنظار الإنجاب كمهام تتقاصر دونها فى أنظار الكثير طبيعة وتكوين الإناث ، فضلاً عن الخشية من تعرضها للذل والمهانة إذا ما وقعت فى سباء المغيرين ، فضلاً عن أن مهمة الدعوة إلى الله وما تحتاجه من صبر الدعاه أمام مخاطر المعاندين الصادين عن سبيل الله عز وجل وجدنا صداها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى حاكياً عن زكريا عليه السلام :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ (مريم : ٤ – ٦)

وحاكياً عن أم مريم : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (آل عمران : ٣٥ – ٣٦)

ب) أسباب اقتصادية :

كان الفقر عاملاً وقاسماً مشتركاً فى العوالم القديمة والحديثة، فالمرأة فى ضعف بنيتها ورقة طبيعتها لا تتحمل مشقة الأعمال الصعبة جلباً للرزق ، وظلت هذه النظرة حتى بعد الثورة الصناعية جعلت أرباب الأعمال يميلون إلى تشغيل الرجال دون النساء – خاصة بالنظر إلى ما يعتريها من أحوال تضعفها عن العمل كالحمل والوضع والرضاع والطمث.

كما تعد فى بعض المجتمعات عبئاً ثقيلاً يتمنون موتها ، كما فى الهند اليوم ، حيث يتحمل أهل العروس جهاز بيتها يبذلونه إلى بيت الزوجية ، الأمر الذى طالعناه قبلاً فى صرخة الوزيرة الهندية بعد وأد عشرة ملايين بيد آبائهن .

كما انتهجت الصين سياسة الطفل الواحد ، حتى طغت نسبة الذكورة على الأنوثة ، واصبحت هناك قرى كاملة للعزاب ، وقد أعلنت حكومتها أن ١٨ مليون رجل صينى لا يجد إناثا للزواج وسوف يقفز الرقم إلى ٣٧ مليونا بحلول عام ٢٠٢٠ بما ينذر بكوارث اجتماعية لا يمكن تصورها.

هذا ولقد أبرز إحصاء مصرى رسمى أن ٩٠ % من الرجال المصريين يفضلون إنجاب أطفال ذكور.

وبحسب تقرير للجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء أشار إلى أن ١٠ آلآف مصرى طلقوا زوجاتهم لأنهن لا ينجبن إلا بنات .. ويعد هذا من أسباب ارتفاع نسبة الطلاق فى صعيد مصر التى تزيد ١٥ % عن نسبة الطلاق على مستوى الجمهورية. ([1])

ج) أسباب طبية :

توصل الطب إلى اكتشاف أمراض تنتقل من الآباء إلى نوع من الأبناء دون الآخر، وكانت هذه الأمراض منها ما هو قاتل ، ومنها التشوهات الخطيرة المعجزة ، الأمر الذى ترتب عليه إجهاض النوع الذى ورث هذه الأمراض وتلك التشوهات واستبقاء الآخر ومن ذلك على سبيل المثال :

- الهيموفيليا " سيولة الدم " ، " البهاق والأنيميا " – فقر الدم – تورثها الأمهات إلى الأبناء بنسبة ٥٠% بينما البنات لا يحملن أعراض هذا المرض .([2])

- مرض ضمور العضلات تحمله السيدات و تورثه الذكور دون الإثاث.([3])

٢) طرق اختيار نوع الجنين :

لقد ولج طالبو إنجاب الذكور دون الإناث أبواب الدجل والشعوذة التى اتخذها الكهان والعرافون والسحرة مهنة لازالت آثارها باقية حتى اليوم لا فرق فيها بين بيئة الفقر والجهل والغنى والعلم حيث أصبح اللهاث وراء ذلك المطلب أملاً تقاصرت دونه السبل فقد ضل الجاهلون والمتجاهلون وكانت النهاية سوء الحصاد الذى تختلط معه الأنساب .

ولقد كانت الوسيلة المشهورة " خرقة الدجال " التى يزعم فيها لرواده أنها تحقق الآمال وقد بللها بمنى أحد أعوانه القابع غير بعيد عن مسرح الجريمة لتضعها المرأة في موضع الحرث حتى إذا اختلطت الأمشاج وجاء النتاج سقى الزوج زرع غيره ، ثم كان النسب والإنفاق والميراث ، وهو ما أشار إليه الفقه الإسلامى فيما يعرف بالاستدخال وفى السطور التالية نستعرض صوراً لهذه الطرق البدائى منها والعلمى:

([1]) مجلة التبيان – الصادرة عن الجمعية الشرعية المصرية – العدد ٤٣ صفر ١٤٢٩ هـ - فبراير ٢٠٠٨ م ص ٧٣ .
([2]) المرجع السابق العدد / ٤١ ذو الحجه ١٤٢٨ هـ - ديمبر ٢٠٠٧ م ص ٧٣
([3]) د . كارم السيد غنيم – الاستنساخ والإنجاب بين تجريب العلماء وتشريع السماء ص ٣٥٣ ، د. سيد عزب : الأساليب الطبية الحديثة والقانون الجنائي – ندوه علمية نظمها مركز بحوث ودراسات مكافحة الجريمة ومعاملة المجرمين فى نوفمبر ١٩٩٣ ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، د . عز الدين الدنشارى – الجنين فى خطر – ص ٤٦ دار المريخ ١٤١٠ – ١٩٩٠ م.

أ)الطرق البدائية فى اختيار نوع الجنين :

ابتدع الخلق عبر التاريخ حركات وهيئات ، فضلاً عن أطعمة وأشربة يتناولونها ظناً منهم إنجاب الذكور دون الإناث ، ومن ذلك .

أ- استلقاء المرآة على جنبها الأيمن عقب الجماع .

ب- ربط الرجل خصيته اليسرى للحد من نشاطها مؤقتا ظناً منه أن اليمنى تنتج الذكر وأن اليسرى تنتج الأنثى .

ج- أن يطلى الرجل جسمه قبل الجماع بدم الأرانب لإنجاب الذكر .

د- أن تمارس المرأة الأنشطة التى يمارسها الرجل كالصيد وهو ما كان اليابانيون يعتقدونه فى القرن العاشر .

هـ - أكل أطعمة معينة لإنجاب الذكور كأمعاء الأرانب وشرب الزعفران وساد الاعتقاد لدى الأمهات فى ستينات القرن الماضى والعشرين أن على المرأة الحامل من أجل إنجاب الذكور أن تضيف إلى طعامها كربونات الصوديوم .([1])

ب) الطرق العلمية فى اختيار نوع الجنين :

يرى الطب الحديث إمكانية اختيار نوع الجنين عبر طرق طبيعية أو صناعية – فيما يعرف باطفال الأنابيب :

١- الطرق الطبيعية فى اختيار نوع الجنين : ([2])

يتم هذا الاختيار بدون تدخل صناعى بعدة طرق منها .

أ) تهيئة حال القناة التناسيلة عند المرأة بما يناسب جنس الجنين المراد :

فقد ذكرت د / " بلوم " وغيرها : أنه إذا رغب الزوجان فى إنجاب ذكر فيقترح قيام المرأة فى يوم التبويض بإجراء غسل قلوى بملعقة من " بيكربونات الصوديوم " فى لتر من الماء المغلى ثم المفتر ، وذلك قبل الجماع بنحو ربع ساعة ليساعد ذلك على مرور الخلايا المنوية الذكرية وصولاً إلى البويضة ، أما فى حالة الرغبة فى الجنين الأنثى فيؤخذ ملعقة من " الخل الأبيض الحمضى " مثلا وتخلط مع لتر من الماء المغلى الذى يفتر ، ثم يغسل به المهبل بالطريقة السابقة نفسها مما يضعف الخلايا المنوية الذكرية ويتيح الفرصة لوصول الخلايا المنوية الأنثوية إلى بويضة الزوجة .

---

(١) د / عز الدين سعيد الدنشارى – الجنين فى خطر ص ٤٤ – دار المريخ ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

(٢) د / حسن عبد الغنى ابو غدة : بحث اختيار الجنين – مجلة الوعى الإسلامى ص ٣٣ – ٣٤ – العدد ،السنة د / محمد على البار : قضايا فقهية معاصرة : طفل الأنبوب والتلقيح الصناعى ص ٧٠ – ٧٤ .

ب) تحر المعادلة بين وقت الجماع ووقت الإباضة :

ذكر الدكتور " شتلر " وغيره : أنه إذا حصل الجماع قبل وقت يسير من التبويض " نحو ١٢ ساعة " كانت الخلايا المنوية الذكرية أسرع فى الوصول إلى البويضة والاندماج فيها وحمل ذكر بأذن الله تعالى ، أما إذا حصل الجماع قبل أكثر من " نحو ١٢ ساعة " من التبويض ضعفت الخلايا المنوية الذكرية عن الوصول إلى البويضة وتلاشت وذلك لقصر عمرها وطول مقاومتها ، بينما تتقدم الخلايا المنوية الأنثوية لما تتصف به من قوة المقاومة وطول العمر ، فتصل إلى البويضة وتندمج فيها وتكونا معاً أنثى باذن الله . (١)

ج) ضبط النظام الغذائى بما يناسب جنس الجنين المراد :

لوحظ من خلال الكثير من الدراسات التى قام بها العلماء فى القرن العشرين الماضى :

أنه كلما زاد وطغى مقدار الكالسيوم والماغنسيوم كالحليب ومشتقاته والمكسرات والبيض والكاكاو فى غذاء المرأة كلما كان ذلك أدعى إلى إنجابها الإناث ، كما أنه كلما زاد وطغى مقدار البوتاسيوم والصوديوم كعصير الفواكه والعسل واللحوم والخضار والقهوة والشاى فى غذاء المرأة كلما كان هذا أدعى إلى إنجابها الذكور بإذن الله تعالى .

(ج) الطرق الصناعية فى اختيار نوع الجنين :(٢)

يتم الاختيار الصناعى عبر طرق عدة منها :

١ـ التعرف أولاً على الكروموسومات الذكرية والأنثوية :

فقد ثبت علمياً أن الذى يتحكم فى نوع الجنين هو كرموسومات الرجل حيث يحمل نوعى الكروموسومات الذكرية والأنثوية ، وقد تم اكتشاف هذه الحقيقة العلمية فى بداية القرن العشرين عام ١٩١٠ على يد العالم " مورغان " وغيره (٣) ، وهو ما يبطل دعاوى القدماء عن مسئولية المرأة عن تحديد نوع الجنين ويحمّل الرجل مسئولية ذلك ؛ حيث أن المرأة لا تحمل إلا كروموسومات الأنوثة فقط ، أما الرجل فهو يحمل الكروموسومات الأنثوية والذكرية حيث خلق الله عز وجل منه الأنثى أولاً – حواء – ثم تتابع الخلق منهما ذكراً وأنثى مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء : الآية ١)

---

(١) د/ فاتن مرجع سابق ص ٣١ – ٣٤.

(٢)، (٥) د/ حسن عبد الغنى أبو غدة : مرجع سابق ، د / محمد عبد الوهاب الخولى – المسئولية الجنائية للأطباء – هامش ص ٨٢ وللاستزادة – د / محمد على البار قضايا طبية وفقهية معاصرة (٢) طفل الأنبوب والتلقيح الصناعى ص ٧٠ – ٧٤ .

ولقد نتج عن دراسة العلماء لخصائص الحيوانات المنوية الذكرية والأنثوية ظهور اختلاف جوهرى بينهما حيث تبين أن : -

أ) الحيوان المنوى الأسرع وصولاً إلى البويضة هو الحامل للكروموسوم (y) بينما الحامل للكروموسوم الأنثوى (x) أقل سرعة منه .

ب) الخلايا الذكرية أصغر حجماً من الخلايا الأنثوية.([1])

ج) الخلايا الذكرية أقصر عمراً من الخلايا الأنثوية .

د) الخلايا الذكرية أضعف وأقل مقاومة من الأنثوية .

ه) الخلايا الذكرية أقل لمعاناً وبريقاً بخلاف الأنثوية .

و) الخلايا الذكرية تميل للوسط القلوى أما الأنثوية فتميل للوسط الحمضى.

ز) إن ارتفاع درجة حرارة المرأة أو انخفاضها عند الإخصاب له تأثير على نوع الحيوان المنوي الملقح للبويضة.

ح) أن نوع الغذاء الذى تتناوله له مثل هذا التأثير.([2])

ط) كذلك إذا أضيف " هرمون الأستراديوم " هرمون الأنوثة – إلى الحيوانات المنوية فإن حركة الحيوانات المنوية التى تحمل شارة الذكورة تزداد ازدياداً كبيراً بالمقارنة مع الحيوانات المنوية التى تحمل شارة x وهو ما يزيد احتمالات إنجاب الذكور.([3]) لكن استخدام مثل هذه الخصائص للتحكم فى نوع المولود لاتنضبط ولا يضمن بها تحديد الجنس بدقة ، ولهذا فهناك وسائل حديثة لاختيار وتحديد جنس الجنين .

٢- وسائل حديثة تصل دقتها فى تحديد نوع الجنين إلى ٩٨ % ، منها :

أ- فصل الحيوانات المنوية الحاملة للكروموسومات (y)عن الحاملة لكروموسومات(x) ويتم الفصل بوسائل عدة منها :

(١) وضع السائل المنوى فى مجرى التيار الكهربائى – حيث تفصل النطف عن بعضها حسب الشحنات الكهربائية التى تحتويها كل نطفة.

(٢) من خلال فحص احتواء الكروموسوم الأنثوى (x) على نسبة أكبر من الحامض النووى بنسبة ٢.٨ % عن الكروموسوم الذكرى (y) ومن خلال صبغة الحيوانات المنوية وصبغة

---

(١) د / فاتن – مرجع سابق ص ٣١.

(٢) د / عدنان العذارى : أساسيات فى الوراثة ص ١٧٤ – ١٧٥ ، د/ محمد الربيعى : الوراثة والإنسان ٩٢ – ٩٣ ، ١٦٤ – ١٦٥ ، محمد شفيق : علم الغرائز ٢ / ٢٢١ مشار إليه : بحث د / عبد الفتاح محمود إدريس ص ٢٦ – ٢٧ " مجلة منار الإسلام " العدد ٣٤٧ السنه ٢٩ – ذو القعدة / ١٤٢٤ هـ يناير ٢٠٠٤ م .

(٣) د/ محمد على البار – مرجع سابق " قضايا طبية فقهية معاصرة "طفل الأنبوب والتلقيح الصناعى ص ٧١.

"الفلوروسن " وقياس نسبة الطيف الضوئى المنعكس منها بعد تسلط ضوء أشعة الليزر عليها يمكن تفريق كل من الحيوان المنوى الذى يحمل كروموسوم x الأنثوى.([1])

(٣) فحص نسبة الحامض النووي الريبى الموجود فى كل نطفة إذ وجد أن هذا الحامض فى الحيوان المنوى الحامل لكروموسوم (x) يزيد عما فى الحيوان الحامل لكروموسوم (y) بنسبة ٢.٨ %.

(٤) ترسيب هذه الحيوانات ثم طردها مركزياً باستخدام المحاليل التى تتخذ لهذا الغرض .

ب- استخدام محاليل حامضية أو قلوية : -

حيث توضع الحيوانات المنوية على أى من هذين المحلولين لمدة تصل إلى ساعات وتترك فى الأنبوب وقد هيئت لها منه الظروف التى تهيأ لها فى المهبل ، إذ يترتب على هذا سبق الحيوانات المنوية الحاملة للكروموسوم (y) وانفصالها فى مقدمة الأنبوب عن الحيوانات الحاملة لكروموسوم (x).([2])

---

[1] د / فاتن أحمد مرسى ص ٣٠.

[2] د / محمد على البار : التلقيح الصناعى وأطفال الأنبوب " بحث ضمن مجلة مجمع الفقة الإسلامى " ١/ ٩٣ – ٩٤ ، العدد ٢ / ١٩٨٦ م ، أعمال ندوة الإنجاب فى ضوء الإسلام ص ٣٧ – ٤٤ ، د / عبد الهادى مصباح – العلاج الجينى ص ١١٣ – ١١٤ نقلا عن المرجع سالف الذكر ص ٢٧ .

المبحث الثاني

مشروعية اختيار الجنين فى الفقة الإسلامى

كان للفقه الإسلامى حضور فيما ينزل بحياة الناس من المستجدات لبيان الحكم الشرعى فيها ، وفى المسألة المعروضة محل البحث ، أجريت الأبحاث الفقهية المعاصرة التى انطوت على الأدلة النقلية والعقلية ، يمكن حصرها فى إتجاهات ثلاث :

الاتجاه الأول : الجواز :

وهو رأى كل من بدر عبد المتولى عبد الباسط ، زكريا البرى ، عز الدين التونى ، إبراهيم الدسوقى ، معوض عوض إبراهيم ، محمد حنيف([1]) ، محمد سعيد البوطى([2]) ، مجلس المجمع الفقهى الإسلامى برابطة العالم الإسلامى([3]).

وقد اشترط هؤلاء لمشروعية اختيار نوع الجنين :

١- اليقين بأن إنجاب أى من الجنسين يقع بتقدير الله ومشيئته.

٢- أن يجرى الاختيار على نطاق ضيق.

٣- أن يتم بين خلايا زوجين فى حياتها.

٤- أن تكون هناك ضرورة ملحة كما فى حالة إصابة أحد الأبوين بمرض خطير قاتل ينتقل إلى أحد الجنسين دون الآخر.

٥- اتخاذ الاحتياطات المانعة من الاختلاط بغيرها من الخلايا .

٦- أن تقوم بها جهة موثوقة مخافة اختلاط الأنساب.

٧- وأن يقتصر كشف العورة أثناء العملية على القدر اللآزم.([4])

الأدلة :

استدل أصحاب هذا الاتجاه بالمنقول والمعقول :

([1]) أعمال ندوة الإنجاب فى ضوء الإسلام ص ٣٧ – ٤٤.

([2]) مجلة العربى – الكويتيه – العدد / ٢٤٢ يناير ١٩٧٩ م تحت عنوان يجوز فى حالة الضرورة وإذا انعدم الضرر.

([3]) الدورة التاسعة عشر المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من ٢٢- ٢٦ شوال ١٤٢٨ هـ / ٣-٧ نوفمبر ٢٠٠٧ م حيث قرر : أنه يجوز فقط بالطرق الطبيعية كالنظام الغذائى والغسول الكيميائى وتوقيت الجماع بتحري وقت الإباضة لكونها أسباب مباحة لامحذور فيها أما التدخل الطبى لاختيار جنس الجنين فلا يجوز إلا لضرورة علاجية .

([4]) د . عبد الفتاح محمود إدريس ، د . حسن عبد الغنى أبو غده – بحث منشور عجله الوعى الإسلامى ص ٣٥ العدد / ٤٧ ذو الحجة ١٤٢٥ هـ .

١ - المنقول :

أ) **القرآن** : قوله تعالى حاكياً عن زكريا – عليه السلام –﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ (مريم : ٥ ، ٦) ، فقد سأل ربه غلاماً (ولياً) والنبى لا يسأل محرماً فما جاز سؤاله وطلبه بالدعاء جاز طلبه وفعله بالوسائل الآخرى المشروعة .

ونرى أن طلب زكريا عليه السلام من الله عزوجل الذكر لم يكن تفضيلاً على الأنثى لهوى فى النفس وإنما لعلة التقرب إلى الله عز وجل لعله أن يحمل ميراث النبوة والدعوة إليه سبحانه وهو ما يحتاج إلى مشقة وعناء وتحمل الأذى والصبر على محاورة المعاندين والانتقال إلى الأقربين والأبعدين وهو من ميادين الجهاد الذى لا يتفق وتركيب المرأة العضوى والنفسى .

ب) **السنة** : قوله (ﷺ) : (قال سليمان – عليه السلام – لأطوفنَّ الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ، فقال له صاحبه : قل إن شاء الله ، فلم يقل إن شاء الله ، فطاف عليهن جميعا ، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل ، وأيم الله الذى نفسى بيده لو قال : إن شاء الله لجاهدوا جميعاً في سبيل الله فرساناً أجمعون).([1])

وقد أفاد هذا الحديث جواز مشروعية طلب واختيار أحد الجنسين (الذكور) لمصلحة مشروعة أو لحاجة يراها صاحبها .

٢ - المعقول :

أ) إن اختيار جنس الجنين واتخاذ الوسيلة التى تساعد على ذلك هو من قبيل الأخذ بالأسباب ، والأخذ بالأسباب مشروع والمسلمون مطالبون به .

ب) لا تحريم إلا بنص مُحرِّم واختيار جنس الجنين واتخاذ الوسائل المساعدة عليه أمر لا يفضى إلى محرم ولا يتوصل إليه بمحرم فكان مشروعاً .

ج) إن اختيار الجنس واتخاذ ما من شأنه تحقيق ذلك ، يكون لصاحبه غرض صحيح والإسلام لا يمنع طلب أحد الجنسين ، واتخاذ ما من شانه تحقيق هذا المقصود.([2])

([1]) رواه البخارى – الحديث رقم ٦٦٣٩ كتاب الإيمان والنذور – باب كيف كانت يمين النبى (ﷺ) .
([2]) كارم السيد غنيم : مرجع سابق ص ٣٠٦.

الاتجاه الثانى : المنع :

وممن ذهب إليه : الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق.([1])

الأدلة :

استدل بالمعقول :

أ) إن إرادة الله اقتضت أن يهب إنسانا ذكوراً ، ويهب غيره إناثاً ، ويهب ثالثا إناثاً وذكوراً ، ليشكر من وهب ويصبر من حُرم ، والابتلاء يكون بالخير والشر ، والقول بجواز اختيار الجنس والتحكم فيه يضاد ذلك .

ب) إن فى اتخاذ إجراءات التحكم فى الجنس عن طريق المنى هو لعب به ، وذلك الأمر ينبغى الحذر منه – إذ اللعب بالمنى سيؤدى إلى فساد عظيم ،واختلاط الأنساب.([2])

ج) إن مثل هذه الطريقة ستحول المولود إلى مجرد سلعة وتزعزع القيم والعلاقات الزوجية عموماً ، وإن اختيار نوعية المواليد سيؤدى إلى اهتزاز التوازن الطبيعى فى البشر إذ أن أغلب الناس يود إنجاب الذكور ليحملوا اسم العائلة أو استعمالهم فى جلب الرزق ، كما يحدث فى العالم الثالث .. فإذا أصبحت طريقة تحديد نوعية الجنين شائعة وسهلة الممارسة فلسوف ينتشر إنجاب الذكور وتتقلص نسبة الإناث فى المجتمعات (وتقدر النسبة الجنسية الطبيعية بنحو ، ٥.٢ / ٤.٨ ذكور : إناث وفي هذا احتقار لأهمية وجود الإناث ووضع للنساء في مرتبة متدنية لأجيال قادمة.([3])

الاتجاه الثالث : التوقف عن الحكم فى المسألة :

الأدلة :

١- إن التجارب العلمية التى تجرى فى هذا الصدد لم تصل بعد إلى نتائج محققة فوجب الانتظار حتى تظهر هذه النتائج .

٢- إن هذه القضية تحتاج إلى مزيد من الدراسة فلا ينبغى التعجل بإبداء الرأى فيها .([4])

الباحث : نرى أن اتجاه الإجازة لضرورة عدم ولادة أحد الجنسين مريضاً أو مشوهاً بما هو خطر قاتل ورثه عن أحد الأبوين هو الراجح ، أما ما عدا ذلك فلا يجوز بحال من الأحوال بأي دعوى آخرى ذلك لأن زماننا عز فيه الالتزام وكثر فيه الانفلات من حاكمية الشريعة ولم يعد سلطان الحاكم فى انفاذها بأقوى من انفاذه القانون فيما يخالفها ، وأن قولة عثمان بن عفان (ﷺ): (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) لن تكون فى صف الشريعة اليوم ، فما أسرع أن يأخذ الناس بفتوى الإجازة دون مجاوزتها إلى المنع – في الأغلب –رغبة في الذكر عن الأنثى.

---

(١) أعمال ندوة الإنجاب فى ضوء الإسلام ص .١١٠

(٢) د . عبد الفتاح محمود إدريس – مرجع سابق ص ٢٨.

(٣) المرجع السابق ص ٢٨.

(٤) المرجع السابق.